نظرة الإسلام إلى المسؤولية وشروطها وآثارها

اخوتي الكرام:

امام هذا العدد الكبير من المرشحين الى الاعمال القيادية في سوريا بعد نجاح الثورة المباركة على الطغمة الحاكمة رأيت ان اقدم لهم (نظرة الإسلام الى المسؤولية)، وما واجبات المسؤول وما نتائج تقصيره عسى ولعل يستفيد منه الاخوة المرشحين لهذا العمل،

ابدأ بحديث الرسول الكريم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى النبي ﷺ يحدث، فقال: بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال :أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال :إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها؟ قال :إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ' رواه البخاري.

يُعدّ مبدأ المسؤولية من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام الإسلامي في الحكم والإدارة، إذ لا يُترك الإنسان ليعمل دون حساب أو رقابة، بل هو مُكلّف ومحاسب على أفعاله وأقواله، سواء في الدنيا أو الآخرة .فالمسؤولية في الإسلام مفهوم شامل، يرتبط بالعقيدة والإيمان والضمير، وتشمل جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية، والمسؤولية في الإسلام قيمة دينية وأخلاقية لارتباطها بمفهوم الأمانة والتكليف الشرعي.

واصبح المفهوم الإسلامي حاجة المجتمعات المعاصرة إلى استلهام النموذج الإسلامي في الإدارة والقيادة. لتحقيق العدالة والازدهار في المجتمعات الإنسانية.

أولاً : مفهوم المسؤولية في الإسلام

المسؤولية في المفهوم الإسلامي هي تحمّل الفرد لما وُكِل إليه من أمانات وأعمال والقيام بها على الوجه الصحيح الذي يرضي الله تعالى، المسؤولية تعني التزام الإنسان بما كُلّف به من واجبات وأمانات، ومحاسبته على ما يصدر عنه من تصرفات .

قال الله تعالى :﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر 38.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ النساء58.

فهي ليست مجرد وظيفة اجتماعية بل هي عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى ، وقد أكّد النبي ﷺ على هذا المعنى في قوله: »كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته «رواه البخاري ومسلم، فالمسؤولية تشمل الحاكم والمحكوم، والعالم والمتعلم، والرجل والمرأة، كلٌّ في نطاقه ودوره، وتشمل كل موقع من مواقع الحياة: الأسرة، العمل، والحاكم، والعالم، وكل افراد الدولة، اي شمول المسؤولية لجميع فئات المجتمع مع جميع الأفراد).

ثانياً : شروط الواجب توفرها في المسؤول

حدد الإسلام مجموعة من الشروط الواجب توافرها في من يتولى المسؤولية، لضمان تحقيق العدالة وصلاح الأمة، ومن أبرز هذه الشروط:

الإيمان والتقوى:

لأن المسؤول المسلم يستمد ضميره من رقابته لله تعالى: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحشر18.

الأمانة والصدق

فبدون الأمانة تضيع الحقوق وتفقد الأمة الثقة، وهي من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسؤول.

قال تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ النساء 58.

قال النبي ﷺ: "إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة" قيل: وكيف إضاعتها؟ قال: "إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله" (البخاري).

العلم والكفاءة

المسؤولية ليست تكريماً بل تحتاج علماً وخبرة وقدرة على اتخاذ القرار، ولا يجوز تولية الجاهل أو العاجز، لأن المسؤولية تكليف لا تشريف، ويجب أن يتحملها من هو أهل لها .قال يوسف عليه السلام :

كما قال الله تعالى : ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يوسف55 .

قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص: 26.

العدل والرحمة

الرحمة توازن بين الحزم والإنسانية، والرفق بالرعية

فقد قال النبيﷺ: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم، فأشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به.

والعدل أساس الحكم في الإسلام، وهو صفة لازمة لكل من يتقلد المسؤولية .

قال تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة 42

قال ﷺ: "أحبّ الناس إلى الله أنفعهم للناس".

الزهد في المنصب وعدم طلبه ابتداءً

لأن طلب الولاية رغبةً في الجاه يُعد علامة ضعف أمانة.

قال ﷺ لأبي ذرٍّ: "يا أبا ذرٍّ، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" (مسلم).

ثالثاً: واجبات المسؤول المسلم:

إقامة العدل والمساواة بين الناس دون تمييز.

حماية مصالح الأمة ودفع الفساد، ورعاية مصالح الرعية وحمايتهم من الفساد والظلم، ونصرة المظلوم.

القدوة الحسنة والسلوك الأخلاقي، والتشاور مع أهل الخبرة.

نصرة الضعفاء والمظلومين.

العمل بالشفافية ومحاسبة النفس قبل محاسبة الآخرين.

رابعاً : العقوبات المترتبة على تخلف المسؤول عن عمله

تُعدّ المسؤولية في الإسلام أمانة عظيمة، ومن يخونها يتعرض لعقوبات دنيوية وأخروية، ومنها:

- **العقوبة الدنيوية:**

للحاكم أو القضاء الشرعي أن يعزل المسؤول المقصّر أو الخائن، ويحاسبه وفق أحكام الشريعة، منها (التعزير) وهى عقوبة شرعية يقررها القاضي حسب نوع التقصير، ومن ثم: يُلزم المسؤول بإعادة الحقوق لأصحابها (ردّ المظالم) .

فقد لعن النبي ﷺ من تولى أمرًا من أمور الناس فلم يؤده بحق.

- **العقوبة الأخروية**

غضب الله وسوء الحساب: المساءلة أمام الله يوم القيامة **:كما في الحديث الشريف:

قال ﷺ: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة" (البخاري ومسلم).

الوقوف بين يدي الله للحساب: قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: 24].

خامساً : المسؤولية في ضوء التجارب الإسلامية

تاريخ الإسلام زاخر بنماذج مشرقة في تحمل المسؤولية، ومن أبرزها نموذج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان يقول» :لو أن بغلة عثرت في العراق لسألني الله عنها :لمَ لمْ تُعبّد لها الطريق يا عمر؟ .«وهذا يدل على عمق الشعور بالمسؤولية والحرص على مصلحة الأمة.

إنّ التزام المسؤولين بأداء واجباتهم بعدل وأمانة يؤدي إلى استقرار الدولة، وازدهار الاقتصاد، ونمو الثقة بين الحاكم والمحكوم، بينما يؤدي التهاون بها إلى الفساد والانهيار.

الخاتمة

يتضح من خلال ما سبق أن الإسلام قد أسس مبدأ المسؤولية على أسس إيمانية وأخلاقية متينة وهى تكليف وليس تشريف، وهي أمانة عظيمة لا تُمنح إلا لأهلها ، غايتها تحقيق العدل والإصلاح لا السلطة والجاه، ومن تولى مسؤولية دون كفاءة أو خان الأمانة فقد عرّض نفسه لخزي الدنيا وعذاب الآخرة.

إن النموذج الأمثل للمسؤول المسلم هو من يقتدي بالنبي ﷺ في قوله وفعله وعدله ورحمته.

فالقدوة بالرسول الكريم تجعل من كل مسؤول أمينًا على ما وُكِّل إليه، ومحاسبًا أمام الله والناس، وعلى المسؤول الدعوة إلى تربية الأجيال على مفهوم الأمانة والمحاسبة. وأن المسؤولية عبادة وليست سلطة، وتطبيق هذه المبادئ هو الطريق الأمثل لإقامة العدل وتحقيق التنمية والنهضة في المجتمعات الإسلامية.

.....

ارجو من الله التوفيق

والله من وراء القصد

محمد محمود اللكود

2025/10/23